مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

الفضاءات التراثية بالمدينة العتيقة بتطوان
ذاكرة محلية تعرضت للإهمال

د. نور الدين أشبون
دكتوراه في الجغرافيا
جامعة عبد المالك السعدي
تطوان – المملكة المغربية

مُلَخّص

ترمي هذه المقالة التي تمت على الفضاءات التراثية بالمدينة العتيقة بتطوان إلى تسليط الضوء خاصة، على أهمية هذا العنصر التراثي-الفضاءات التراثية- كتراث ثقافي مادي ولامادي في آن واحد، ودورها الطلائعي في تحديد الهوية المحلية وتعزيز الذاكرة المجالية. حيث تعتبر المدينة العتيقة بجماعة تطوان، خزاناً تاريخيًا بامتياز، وملتقى حضارات شتى أبرزها الحضارة الأندلسية والأمازيغية والعربية مما ساهم في بناء نسيج من المرافق العمومية والخاصة ذات طابع ثقافي فريد. كان سببا في انصهار مجموعة من الثقافات والحضارات، لتخلف بالتالي زخم كبير على مستوى التراث الثقافي اللامادي، متمثلا في مختلف الطقوس والممارسات والأنشطة الإنسانية في هذه الفضاءات. لكن يبقى الإشكال المطروح هو كيفية تثمين هذا العنصر التراثي، والحفاظ عليه من كل أشكال الاندثار والضياع سواء كميًا أو نوعيًا. وذلك عن طريق حلول عاجلة تهدف ترميم ما يمكن ترميمه في هذه الفضاءات التراثية في إطار إرجاع الاعتبار للتراث الثقافي اللامادي بالمدينة العتيقة بتطوان والحفاظ على الهوية المحلية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٤ يناير ٢٠٢٣
تاريخ قبول النشر: ٢٥ فبراير ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

التراث الثقافي اللامادي؛ الفضاءات التراثية؛ المدينة العتيقة؛ تطوان؛ الحمامات

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.324072

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نور الدين أشبون، "الفضاءات التراثية بالمدينة العتيقة بتطوان: ذاكرة محلية تعرضت للإهمال".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد التاسع والخمسون؛ مارس ٢٠٢٣. ص ١٤ – ٢٢.

Corresponding author: noureddineachboun@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةُ

يساهم التراث الثقافي اللامادي في التماسك الاجتماعي، ويحفز الشعور بالانتماء للوطن الأمر الذي يقوي عند الفرد هذا الشعور بالانتماء إلى مجتمع محلي واحد، وبالتالي الانتساب إلى المكان أو الفضاء الذي يمارس فيه كل طقوسه وممارسات اليومية. ويبقى اللبس في انتماء الفضاءات الثقافية للتراث الثقافي اللامادي، خصوصًا بعد أن وضعت منظمة اليونسكو قائمة لتصنيف الساحات والفضاءات العمومية، ولتوضيح هذا فإن الفضاء الثقافي مادي بجدرانه وبناياته ومكوناته المادية، ولامادي بكل ما يمارس فيه من أنشطة وممارسات مكونة للحياة المعيشة فيه، والتي هي تحديد ضمني لهوية مستعملي هذا الفضاء، سواء أكان فضاء صناعيًا كدور الدباغة والأحياء الحرفية، أو فضاء تجاري كالأسواق الأسبوعية، أو فضاء اجتماعي ديني كالجوامع والأضرحة...وهكذا نجد الفضاء الثقافي تراثًا معنويًا لامادي بمحتواه من خلال ما يعاش فيه، بكل تفاصيله وجزئياته[1]، وهذا ما يؤكد أن وجود الإنسان ارتبط بالمجال، فبالتالي كان لابد أن يكون ذلك التجاوب الحاصل بين المكونين -المجال والإنسان-هو نتاج وثمرة تفاعل اجتماعي وثقافي يولد هوية معينة، وبالتالي فإن الفضاءات الثقافية وما يرتبط بها من آلات وأدوات مرتبطة بالنشاط الإنساني تعتبر تراثًا ثقافيًا لا ماديًا أيضًا.

١-طقوس الحمامات التراثية في تطوان

الحمامات العامة، من الفضاءات العمومية المعروفة في الوسط التطواني يرتادوها السكان[2] بشكل مستمر. وقد اشتهر الأندلسيون بها وأعطوها قيمة كبرى على اعتبار أن النظافة من شيم المسلمين. "حيث يغتسل فيها عموم السكان مقابل أجر محدد، وهي تعمل بالتناوب بين النساء والرجال، حيث عادات سكان تطوان في الارتفاق بالحمامات أن تستعمل من طرف النساء في أوقات معينة، ومن طرف الرجال في الأوقات المخالفة"[2]. وتقسيمها الداخلي يتكون من خمس مرافق أساسية (انظر جدول 1). يسهر على تدبير أمور الحمامات الداخلية طاقم تقني، موجود في كل الحمامات عمال يشتغل كل واحد منهم حسب تخصصه وحرفته (انظر جدول ٢).

الحمامات في تطوان تعرف نشاطًا كبيرًا أيام الخميس والسبت، وأيام العطل وفي المناسبات الدينية. وإلى حدود ثلاثينات القرن الماضي كانت بتطوان خمسة حمامات فقط وهي:

- حمام السوق الفوقي الذي بناه النقسيس.
- حمام أمحلي بالساقية الفوقية.
- حمام مدينة بحي المطامر.
- حمام العيون الذي بناه أحد قضاة عائلة بن قريش.
- حمام سيدي المنضري بحي البلد وقد بناه سيدي المنضري.

كل هذه الحمامات مازالت تعمل لحد الساعة بنفس النظام والتدبير الداخلي، وقد بنيت حمامات عامة تقليدية أخرى بالمدينة العتيقة وخارجها. من بين الحمامات التي بنيت داخل المدينة العتيقة حمام الرهوني، حمام طنانة وحمام الوطية (انظر الجدول ٣) (انظر الخريطة ١)، أما خارج المدينة العتيقة نجد كل من حمام "سيدي طلحة"، حمام "الروبيو" في حي "التوتة" بالقرب من "سانية الرمل" وحمام "بلجيكا" بحي "الباريو" وغيرها. ويتميز الحمام بكونه أحد أنماط المباني الخاصة جدا التي تسمح لكم كبير من الماء يتخلل أنظمته المعمارية والإنشائية، الأمر الذي يجعله دائما عرضة لتدهورها ومواد بنائه، ويحتم ذلك تفعيل برنامج دوري للصيانة، وأية محاولة لفصل الماء عن الحمام بغرض الحفاظ على المبنى، هو فصل الروح عن الجسد الحي، وبالإضافة إلى ذلك تتعرض أنظمة المبنى وخاصة في المناطق الدافئة والساخنة منه لتباين شديد في درجات الحرارة والرطوبة النسبية بداخل الفراغات وخارجها، هذا الاختلاف البيئي يُعجل بنسبة تكثيف البخار في صلب مواد البناء وبالتالي يؤدي إلى تفككها وتدهورها.

تجدر الإشارة إلى أن الحمامات التقليدية قد تعرضت لتدهور سريع في استخدامها، بالنظر لما تتطلبه هذه المباني من عناية وصيانة فائقتين ومكلفتين، وكذلك لموقع هذه الحمامات في المناطق التاريخية المهملة، التي يسكنها في غالب الأمر فقراء المجتمع الأمر الذي حال دون توفير العائد المادي لوقايتها من التلف[3]. ونظرًا لازدياد الطلب من قبل الفئات الاجتماعية على توفير الحمامات التقليدية،

واحتياج الكثير من الأفراد للخدمات المختلفة التي تميز الحياة المدنية المعاصرة، فقد ظهرت أنماط وأشكال حديثة من هذه الحمامات، إلا أنها لا تلتزم بخصائص ومواصفات الخدمات التي تقدم في الحمامات التقليدية.

٢-نظام الفنادق التاريخية في مدينة تطوان

تتركز بمختلف أحياء المدينة العتيقة كما في الحي العصري (الإنسانشي) فضاءات عمومية تعرف بالفنادق جمع فندق، وهي عبارة عن مبنى تتوسطه ساحة كبيرة، يخصص الطابق العلوي للوافدين له، والساحة للدواب من حمير وبغال وغيرها أما الدكاكين الموجودة به للبضائع والسلع التي يشترها الوافد أو التي يبيعها. فمنها من يخصص لتجار الدواب ومنها ما يخصص لتجار المواد الفلاحية ومنها للصناع والحرفيين ونحو ذلك. أغلب الفنادق في تطوان تم بناءها في القرن ١٨ الميلادي، واستمرت في تأدية دورها إلى حدود ستينات القرن الماضي. وقد شهدت هذه الفضاءات أغلب المعاملات التجارية وحتى الصناعية التي كانت تعرفها مدينة تطوان باعتبار أنه المكان الوحيد بعد الزوايا والمقامات الشريفة واسقالة التي يلج لها أغلب التجار والصناع الوافدين، من أجل شراء المنتوجات المنتجة في مدينة تطوان أو بيع المنتوجات، فهذا الفضاء الشعبي والعمومي اليوم انعدم دوره نظرا للتقدم الكبير التي عرفته دور الإيواء بمختلف أنواعها. ولكن رغم ذلك تضل الفنادق جزءا من ذاكرة المدينة الحية في فترات تاريخية مهمة، شهدت ازدهار تجاري وصناعي للمدينة، وتوثق لنمط عيش السكان في فترة زمنية. ففي دول كإسبانيا أصبحت هذه الفنادق متاحف يزورها السياح بكميات كبيرة، بل لها زوارها الخاصين باكتشاف مثل هذه الفضاءات التراثية، أو مستمرة في أداء دورها الإيوائي أو مركز لإيواء الدواب التي تستعمل وسط المجال الحضري. في مدينة تطوان للأسف غابت خصوصية ومميزات الفنادق بشكل نهائي كما غابت كل الممارسات والحياة المعيشة فيها. وكما أشارنا من قبل عرفت المدينة العتيقة لتطوان نشأة العديد من هذه الفنادق حدد عددها في ١١ فندقًا (انظر الجدول ٤ والخريطة ٢).

٣-العادات المرتبطة بالأفران التقليدية في مدينة تطوان

الخبز من المواد الغذائية الأكثر أهمية في ثقافة الأسر المغربية والتطوانية خصوصًا، حتى أن معيار إتقان إعداد الخبز، يعتبر مهما بالنسبة للرجل المقبل على الزواج، والفرن من الفضاءات المرتبطة بهذه المادة الحيوية، والذي يعتبر المنتوج الوحيد لها، كما أن الفرن من الفضاءات المهمة، التي تسهر على تقديم العديد من الخدمات للسكان والدليل على ذلك عند بناء مدينة تطوان من طرف سيدي المنظري، قام بوضع تصميم المدينة يضم الجامع والفرن والحمام كأول ثلاث مرافق عمومية وضرورية للساكنة.

ذكر عدد من الباحثين المهتمين بالتراث المغربي، أن الأفران التقليدية موروث ثقافي له مميزات معمارية غاية في الدقة والإتقان، إذ اهتدى صانعوا هذه الأفران إلى جعلها في طابق سفلي وأخرى في طابق علوي وأغلبها مبلطة بمادة الزليج في مداخلها ومخارجها، هي لا تبعد سوى بمسافات صغيرة وأمتار قليلة عن المساجد والحمامات والأسواق الشعبية داخل الأحياء العتيقة. فالحقيقة للفرن دور كبير في نمط عيش الساكنة التطوانية، حيث تقوم عليه كثير من الأعمال البيتية، من طبخ للخبز وأنواع الطواجين والأكلات الرفيعة كالبسطيلة، ولن ننسى أنواع من الحلويات التي تتفنن فيها ربات البيوت، التي تقوم بعجن خبز المائدة بنفسها في الصباح الباكر، وتنتظر حتى اختماره لكي ترسله للفرن مع صبي أو شاب يسمى "الطراح" الذي له دور جمع "وصلات الخبز"[٤] ونقلها للفرن، يقوم المعلم بوضعها في الفرن الساخن ذو الجمر الملتهب عن طريق لوحة خشبية طويلة المقبض تسمى "المطرح"، حسب جاهزيتها للطهي أو حسب الرتبة التي وضعها الطراح أمامه. هذه المهنة متعبة جدا وخصوصا في فصل الصيف، أما الخشب المستعمل في إشعال النار لطهي الخبز، إما شجر الصنوبر أو العرعار.

كما يقوم المعلم في الفران بخلط وإنتاج الحلوى المسماة "بشكيطو" الذي يصنع من البيض والزيت والسكر حيث كانت الأسر في المناسبات تفوض للمعلم في الفرن عملية إعداده. وكان أجر المعلم خبزة وتسمى الكبيرة، وأجر الطراح خبزة وتسمى الصغيرة أو "البويا". كل هذه الخدمات التي كانت تقدمها الأفران، انضافت لها خدمات أخرى في وقتنا الحالي وهي إعداد الحلوى بمختلف أنواعها، وإعداد المالح المتكون من أصناف عديدة مثل "البروك والباندیات" وغيرها... وأكثر من هذا أصبحت الأفران تنتج الخبز بمختلف أنواعها، إذ يطلبها المستهلك أكثر من خبز المخبزات الحديثة، نظرا لأن خبز الفرن التقليدي يطهى على الحطب وبالتالي يكون طبيعيا خالي من المواد الكميائية. حاليا توجد في تطوان ما يقارب ١٠٠ فرن تقليدي منها ٣٧ في المدينة العتيقة وأخرى خارج أسوار المدينة، فقط عدد قليل من الأفران التي تنشط حاليا

بالمدينة العتيقة (انظر الجدول ٥ والخريطة ٣) أبرزها فرن "غرسية" (أنظر الصورة ١). كلها تشتغل بصفة يومية، لكن للأسف اندثرت بشكل كلي مهنة الطراح، حيث لم يعد أي طراح في تطوان لا في المدينة العتيقة ولا خارجها، وبالتالي اندثار جزء مهم من ذاكرة الفرن التطواني، في حين أن الأفران الآن أصبح دورها بيع الخبز أكثر من طهيها وهذا أيضا ما أسهم في تحريف دورها الأساسي التي وجدت من أجله. إلا أن ذاكرة مدينة تطوان اليوم، تصارع من أجل أن تحفظ تلك القصص التي تنسج حول شخصيتا "الطراح" و"المعلم" بحضورهما المميز وسط ساكنة أحياء المدينة العتيقة. ترتبط مظاهر التمدن السريع الزاحفة منذ سنوات إلى هذه الأحياء، إذ استحدثت وسائل جديدة استغنى الناس من خلالها عن خدمات الفرن التقليدي، فاستجلبت النسوة إلى بيوتهن "أفرانا منزلية" يطهين فيها الخبز، دون الحاجة للالتزام بتوقيت عمل فرن الحي، وفتحت مخابز عصرية أبوابها، أعفتهن حتى من عناء عجن الدقيق ليصير رغيفا، فصار الخبز مادة تستهلك كباقي المواد الأخرى تجلب من الدكاكين عند الحاجة، ولا تذخرها البيوت طوال اليوم كما في السابق، ولا تقضم قطعها ساخنة، زكية الرائحة، طيبة المذاق، بل يقنع أهل البيت برغيف الخبز الذي يأتي به من البقال المجاور باردا دون رائحة تميزه.

٤-الساحات العمومية في مدينة تطوان

الفضاء العمومي، هو مفهوم عام لا يدل على مكان خاص أو عام، فهو يتوفر على أبعاد اجتماعية وثقافية وتقنية. وهو أيضا مجال يضم أنشطة السكان بالأساس. يعرفه قاموس التخطيط والتطوير الحضري بأنه "جزء غير مبني مخصص للاستخدام العمومي، حيث شكلته الملكية وتخصيص الخدمات". والمدينة في مطلع القرن العشرين تتوفر على مجالات عمومية أحادية الاستعمال، حيث كان كل مجال يستخدم بطريقة فريدة ومتنوعة، إلا أن الفضاء العمومي في الوقت الحالي يمكن أن يشمل أيضا أنواع أخرى من الأماكن: محطات السكك الحديدية، مراكز التسوق، وسائل النقل العام والمرافق العامة، وحتى المقاهي[٥].

الفضاء العمومي يستعمل بدون مقابل ويتم استغلاله بدون تمييز، ومن بين هذه الفضاءات العمومية الساحات التي تعتبر هي قلب المدينة النابض حيث تشكل جزءًا هامًا من تاريخها، وجزءا من الذاكرة الجماعية ومن هوية المدينة وتاريخها وكينونتها. وهي ملتقى بشري وحيوي بالغ الأهمية[٦]. وتطوان تتميز بكثرة الساحات المتواجدة بها والتي تستغل لعدة أغراض منها ما هو تجاري واجتماعي وترفيهي. وتعتبر الأنشطة المزاولة في هذه الفضاءات العمومية هي المراد والمبتغى في بحثنا، لكون هذه الممارسات الاجتماعية والتجارية هي تجسيد لنمط حياة وعيش السكان بالمدينة، سواء خلال الحقب التاريخية التي مضت أو خلال الفترة الحالية (أنظر الصورة ٢).

مدينة تطوان تتوفر على عدة ساحات عمومية تحتفظ بالذاكرة الجماعية للمدينة وتؤرخ لأحداث مهمة من تاريخ المدينة، كما تعتبر الممارسات المعيشة في هذه الساحات نوعا من الصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع محيطه السوسيو ثقافي. والجدول (٦) يعرض الساحات ذات الطابع الثقافي والشعبي بجماعة تطوان، سواء بالمدينة العتيقة أو الحي الجديد الإنسانشي- (أنظر الصورة ٤).

طرأت تحولات مهمة في وظيفة الساحات العمومية خصوصا بالمدينة العتيقة، وكل هذه التحولات لم تكن في خدمة دور الساحات الثقافي رغم تجديد بعضها التي طالها الإهمال، مثل ساحة الغرسة الكبيرة، للأسف مخططات التهيئة والوظائف التي تراد لهذه الساحات، لا تمت بصلة لثقافة المجتمع التطواني، ولا حتى لرهان التنمية السياحية بالمدينة، فمن الأسس المعتمدة في تدبير التراث الثقافي اللامادي هي ربط الثقافة بالفضاء، ومن خلال الدراسة التي قمنا بها تبين أن ٨٠ %من هذه الساحات ألغي دورها الثقافي، المتمثل خصوصا في نشر ثقافة الحرفة وأيضا فن الحكاية من خلال الحكواتيين الذين يترددون على ساحة الغرسة الكبيرة (أنظر الصورة ٣) والسينما الصيفية، ومسرح الهواء الطلق، كل هذه الصور الاجتماعية والثقافية اندثرت بشكل شبه كلي، وبالتالي اندثار ومسح جزء من ذاكرة الجماعة البشرية بالمدينة. الملاحظ أيضا غياب تام لما يسمى للساحات الشعبية التي تبرز فيها القيمة الفنية للمجتمع من خلال الفنون الشعبية، ألعاب، مسرح، حكاية، زجل وغير ذلك

كذلك ٧٠% من هذه الساحات عبارة عن فضاءات عمومية محاطة بمقاهي يرتادها العاطلين عن العمل والمتقاعدين. خلاصة القول إن الساحات العمومية بمدينة تطوان، لا تؤدي دورها الثقافي ولا الاقتصادي كما ينبغي وتدبير هذه الفضاءات يراعي فقط الجانب العمراني والتطور الحضري للمدينة.

٥-الأحياء الحرفية بالمدينة العتيقة في مدينة تطوان: نموذج ثقافي متميز

عند التأمل في التوزيع المجالي للحرف الفنية بالمدينة العتيقة بتطوان، يتضح أن التصميم العمراني للمدينة بشأن الحرف لم يختلف عن كل المدن العتيقة بالعالم الإسلامي حيث خصص لكل حرفة حي خاص بها، يتجمع فيه أصحاب الحرفة الواحدة، وذلك لمجموعة من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية نذكر منها ما يلي:

- المنافسة بين الحرفيين.
- تسهيل الولوجية للمستهلك من أجل اقتناء منتوج معين.
- إبعاد الحرف المسببة للضجيج أو الروائح الكريهة، خارج نطاق المدينة أو في أبوابها وبالتالي مراعاة القيم البيئية.
- تسهيل عمل أمين الحرفة في مراقبة وتتبع عمل الحرفيين.
- إعطاء جمالية هندسية للمدينة.
- عدم الاختلاط مع الأحياء السكنية.
- بيع المواد الأولية لكل حرفة في حيها الصناعي.

"تتجلى الفنون الحرفية التطوانية التي تعكس تاريخ المدينة وخصائص مجتمعها وصناعتها الحرفية على نحو بارز داخل الأحياء. فهي تعبر صادق وموفق عن انصهار تيارين جمالين متداخلين، تيار فني قروي فيه شيء من الخشونة وكثير من البساطة، وفن حضاري متبلور وفاخر، موروث من عهد الأندلس، التي أشاعت خلاله التقاليد الإسلامية والعربية كفن الزخرفة، واعتماد الرسوم والخطاطات في التزيين والزخرفة".(٧)

"معظم الفنون الحرفية التطوانية استقرت في أماكن مخصصة، وفق تنظيم محكم داخل القسم الغربي للمدينة حيث يوجد حي البلد"(٨)، إذ تتمركز الأحياء الحرفية، التي تتخللها بعض المساجد والحمامات وغيرها من المرافق الضرورية لممارسة الحياة الاجتماعية والصناعية(٩).

كما كانت الحرف الفنية تتجمع مجاليًا وتتوزع على حومات البلد، فإن الحرفة خضعت ولو بشكل نسبي لتوطين إثني بين المسلمين واليهود. فالمسلمون كانوا يزاولون معظم الحرف والصنائع كصناعة الجلد بفروعها (الصورة رقم٥) والحياكة بأصنافها، والفخار بأقسامه، وكذلك صناعة الخشب وصناعة السلاح والحدادة بالإضافة إلى الصناعة الغذائية الأساسية. والملابس وجل الحرف النسيجية. بينما كانت بعض الحرف التي تتطلب معالجة المعادن الثمينة كسك النقود وإصلاح النعال القديمة، بل كانوا متخصصين في حرفة صناعة البرادع والقزدرة وتذويب الشمع وصناعة الفنارات. وكان هناك عدد قليل من الحرف التي يزاولها اليهود والمسلمون في آن واحد مما لم يكن يفسح المجال بينهم فيما يخص المنافسة والعمل معا.

من خلال البحث الميداني اتضح أن تواجد الأحياء الصناعية وتنظيمها المجالي مازال كما كان، ولكن النشاط التجاري والصناعي قل في بعضها، واندثر في البعض الآخر، واختفى بشكل نهائي في الأخرى. وهذا ما يجعل سمات الحياة الاجتماعية ونمط العيش بهذه الأحياء والتي كانت تتميز بدينامية خاصة ليس بالبعيدة، تختفي وبالتالي اختفاء أحد المظاهر التراثية الهامة بالمدينة التي كانت تعكس الخصوصية السكانية والثقافية للجماعة البشرية بالمدينة.

من خلال (الجدول ٧) يتضح أن معظم الأحياء ذات الصبغة الحرفية في المدينة العتيقة قد فقدت طابعها الحرفي ولم يعد منها سوى الاسم فقط وذلك نتيجة لسببين اثنين:

- انتشار الحرف خارج الحي المخصص لها، وذلك نتيجة للتوسع الحضري بالمدينة وبالتالي رغبة الحرفيين الاقتراب من المستهلك، أو نتيجة للعامل التاريخي المتمثل في تدخل الاحتلال الإسباني في تفريق بعض الحرف حتى لا يلتف الحرفيين على مقاومته.
- اندثار وانقراض بعض الحرف بصفة نهائية أو شبه كلية، كما الشأن للحصير الذي مازال يمتهن من طرف صانع واحد وهو "عبد الرحمان مشراق" أو صناعة "الربوز" كذلك لم يعد يمارسه سوى صانع واحد. هذا الغنى في التدبير الحرفي الذي تحتويه فضاءات الأحياء، يعتبر علامة ثقافية يتمتع بها سكان مدينة تطوان دون غيرها، من حيث التنوع والتدبير والنمط المعيش.

خَاتمَةٌ

بناءً على ما ورد في محتوى هذه المقالة، والتي كان الهدف منها إبراز أهم المكونات المشكلة لنسيج الفضاءات التراثية بالمدينة العتيقة بتطوان كتراث ثقافي لامادي كما ونوعا، حيث تبين لنا تفرد وتميز هذا العنصر التراثي من حيث الطقوس الممارسة فيها، التي اعتادت ساكنة تطوان ممارستها، سواء بصفة يومية أو موسمية، وأيضًا وغزارة عناصره من فنادق وأفران وحمامات تقليدية وساحات عمومية...كل هذا أفرز نسيجًا تراثيًا غنيًا له خصوصية ثقافية-مجالية، ذو وظائف ودلالات حضارية ميزت المجتمع التطواني عن غيره.

في خضم كل هذا التنوع والغنى على مستوى الفضاءات التراثية بالمدينة العتيقة لتطوان، يعرف هذا التراث الثقافي اللامادي تراجعًا كبيرًا، واندثارًا في جزء ليس باليسير منه، يحتاج لتدخل مستعجل وحاسم حفاظًا على الهوية المجالية، وتعزيزًا للترسانة القوية للتراث الثقافي عمومًا واللامادي خاصةً. في ظل إكراه العولمة الثقافية التي يعرفها العالم. هذه التدخلات التي يجب أن تكون على عدة أصعدة، سواء المجتمع المدني أو كل الفاعلين الترابيين.

الملاحق

١-الخرائط

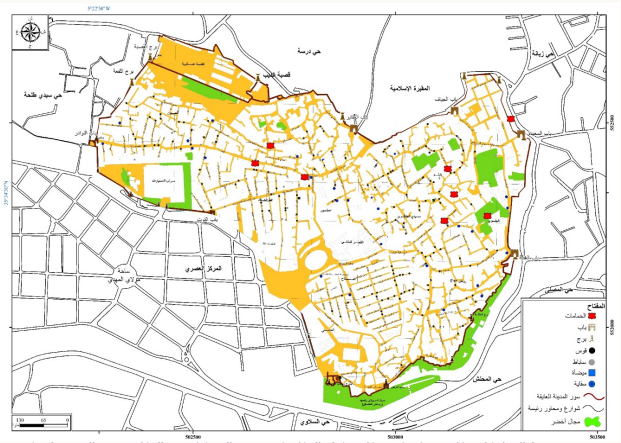

خريطة (١): الحمامات التراثية التاريخية بالمدينة العتيقة بتطوان
المصدر: استغلال شخصي لمعطيات البحث الميداني ٢٠٢٠

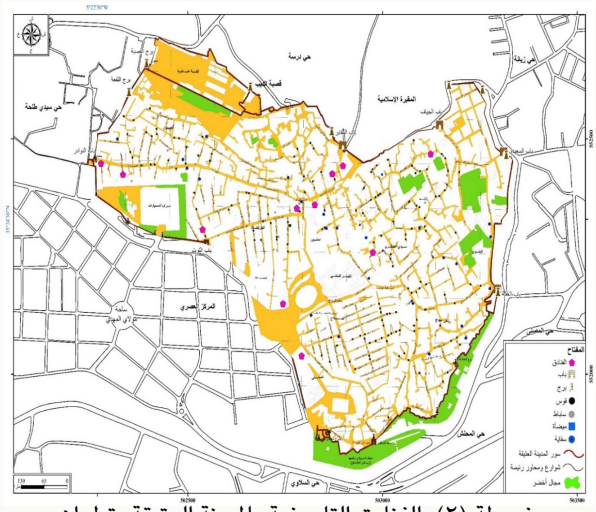

خريطة (٢): الفنادق التاريخية بالمدينة العتيقة بتطوان
المصدر: استغلال شخصي لمعطيات البحث الميداني ٢٠٢٠

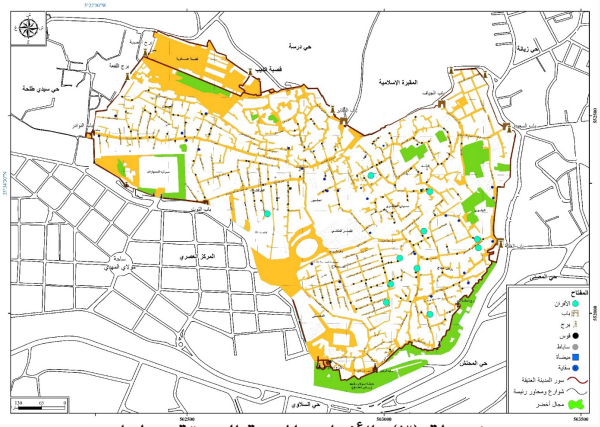

خريطة (٣): الأفران بالمدينة العتيقة بتطوان
المصدر: استغلال شخصي لمعطيات البحث الميداني ٢٠٢٠

٢-الجداول

جدول رقم (١) مرافق الحمام التطواني

المرفق	الدور
الكلسة	الاستقبالات والأداء.
الكلسة الثانية	الجلوس والراحة أو انتظار خروج الرجال أو العكس.
البارد	فيها صهريج الماء البارد و"الميضات"[١٠]، ويغتسل فيها الأطفال ومَنْ لا يستطيع الاستحمام في الحمام الساخن، ويتكون من مجموعة من الغرف الصغيرة.
الوسطي	يكون متوسط الحرارة وغالبا ما يكون هو مكان الاستحمام الرئيسي لكل الزبناء وهو أيضا يتكون من غرف صغيرة.
السخون	"حيث توجد "البرمة" التي يكون مائها ساخن جدا ويكون تحت هذا الجناح الفرن الذي توقد فيه النار، وهو يكون ساخن جدا وهو أيضا يتكون من غرف لستر العورات".[١١]
	المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٢) حرف الحمام التطواني

الحرفة	المهمة
الكلاس(ة)	الشخص الذي يوجد في استقبال الأفراد واستخلاص الأجرة منهم وبيع بعض الأغراض وحراسة الملابس.
الطياب(ة)	هو من يقوم بمهام نظافة اماكن الاستحمام وايضا غسل جسم الزبناء بمهارات خاصة وتقنيات تعلمها منذ الصغر. وهو يتقاضى أجر خاص عن ذلك.
الججاج	الشخص الذي يوقظ النار في "الفرناتشي"[١٢] لتسخين الماء. "ويضيف أحيانًا الحطب حتى لا يبرد الماء"[١٣].
	المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٣) الحمامات التقليدية بالمدينة العتيقة بتطوان

اسم الحمام	موقعه
الحمام الصغير	الوطية
سيدي علي بنمسعود	الفدان
حمام الطرانكات	الطرانكات
حمام المنظري	حي المرستان بالقرب من الصياغين
حمام الوطية	الوطية
حمام امحلي	حي سيدي بن ناصر بالقرب من الجنوي
حمام مدينة	المطامر
حمام عائلة المنظري	بالقرب من سوق الحوت القديم
حمام غويلة	المطامر

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٤) جرد الفنادق المتواجدة بالمدينة العتيقة

اسم الفندق	موقعه
فندق الخصة	السوق الفوقي
فندق السراير	بين باب المقابر والسوق الفوقي
فندق الغرباوية	الطرانكات
فندق بايص	بين باب النوادر وحي العيون
فندق الوطية	باب التوت
فندق المطمر	المطامر
فندق المصمودي	بالقرب من ساحة الفدان
فندق اللبادي	المصلى القديمة
فندق القريشي	السوق الفوقي
فندق القاعة	بالقرب من سوق الحوت
فندق الفاسي	باب النوادر

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٥) جرد الأفران النشيطة بالمدينة العتيقة سنة ٢٠٢٠

اسم الفرن	موقعه
فران أحمد	الملاح
فران البلد	المطامر
فران الركينة ١	بين باب العقلة والمصداع
فران الركينة ٢	الجنوي
فران الصياغين	حي الصياغين
فران الطرانكات	الطرانكات
فران الملاح	الملاح
فران اليهودي	الملاح
فران أمحلي	الجنوي
فران سليمان	السويقة
فران للافريجة	السويقة

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٦) الساحات ذات الحمولة التراثية المتواجدة بجماعة تطوان

اسم الساحة	الموقع	الأنشطة المزاولة فيها قديما	الأنشطة المزاولة فيها حاليا
بلاصا بريمو	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
الغرسة الكبيرة	المدينة	فضاء تجاري	فضاء عمومي
السوق الفوقي	المدينة	فضاء تجاري	فضاء تجاري
الملاح	المدينة	فضاء تجاري	فضاء تجاري
السويقة	المدينة	فضاء عمومي	فضاء عمومي
ساحة الوسعة	المدينة	فضاء حرفي	فضاء عمومي
التربيعة د كاوزا	المدينة	فضاء تجاري	فضاء حرفي
ساحة الفدان القديم	الإنسانشي	فضاء عمومي	مشوار السعيد
ساحة افينيدا	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
تربيعة الخياطين	المدينة	فضاء حرفي	فضاء عمومي
تربيعة الصوف	المدينة	فضاء حرفي	فضاء عمومي
تربيعة الياسمينة	المدينة	فضاء حرفي	فضاء عمومي
ساحة اللبادي	المدينة	فضاء تجاري	فضاء عمومي
ساحة سوق الحوت	المدينة	فضاء عمومي	عمومي فضاء
ساحة بئر إنزران	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
ساحة الجلاء	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
ساحة العدالة	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
ساحة سينما اسبانيول	الإنسانشي	فضاء عمومي	فضاء عمومي
ساحة العيون	الإنسانشي	فضاء عمومي	بناية سكنية
ساحة سينما طيراسا	الإنسانشي	سينما صيفية	مراب سيارات

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

جدول رقم (٧) الأحياء الحرفية بالمدينة العتيقة بمدينة تطوان

اسم الحي	الحرفة الفنية	عدد الحرفيين	مدى انتشار الحرف
الحدادين	الحدادة	٥	ضعيف جدا
الحصارين	صناعة الحصير	٠	غير موجودة
الخرازين	صناعة المنتوجات الجلدية	١٨	جيد
الصياغين	صياغة الحلي	٨	متوسطة
النيارين	صناعة المرمة	٠	غير موجودة
الخياطين	الخياطة	٣	ضعيفة جدا
الصباغين	الصباغة بمختلف أنواعها	٠	غير موجودة
السفاجين	صناعة السفنج	١	نادر
الجزارين	الجزارة	٠	غير موجودة
النجارين	النجارة	١٨	جيدة
الدباغين	دباغة الجلود	٥	ضعيف
القسدارين	صناعة المنتوجات القسدرية	١	غير موجودة
العطارين الطرافين	بيع التوابل صناعة منتوجات	٠	غير موجودة
الطفالين	صناعة المنتوجات الفخارية	٥	ضعيفة
الطرافين	إصلاح الأحذية	٠	ضعيفة

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني

٣-الصور

صورة (١): فران غرسية بالمدينة العتيقة
المصدر: بعدسة الباحث بتاريخ ٢/٢/٢٠٢٠

صورة (٢): ساحة الفدان تطوان
المصدر: https://chamalouna.skyrock.com/3.html

صورة (٣): ساحة الغرسة الكبيرة
المصدر: بعدسة الباحث بتاريخ ٠١/٠٥/٢٠١٩

صورة (٤): الساحات العمومية بالإنسانشي
المصدر: المهندس الطوبوغرافي نافع الزناجي بتاريخ ٢٠١٥

صورة (٥): حي الطرافين
المصدر: بعدسة الباحث بتاريخ ٢٠١٨/١٠/١٠

صورة (٦): حي الخرازين بتطوان
المصدر: بعدسة الباحث بتاريخ ٢٠١٨/٠٥/٢٣

الاحالات المرجعية:

(١) مايك كرانغ (٢٠٠٨) "**الجغرافيا الثقافية -أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية**"-ترجمة سعيد منتاق، مجلة المعرفة العدد ٣١٧ ص.٥.

(٢) الرامي خالد (٢٠٠٥) "**تطوان خلال القرن الثامن عشر تاريخ وعمران**"، الطبعة الأولى، مطبعة الخليج العربي، ص ١٣٤.

(٣) الحبشي علاء (٢٠١٤) "**الحمامات التاريخية بين الحماية وإعادة التأهيل**"، مجلة إنسانيات التابعة لمركز الأبحاث الأنتروبولوجية والاجتماعية والثقافية، تاريخ النشر (٢٠١٦) ص٢.

(٤) الصينية الخشبية الذي يوضع فيها الخبز لينقل للفرن.

(٥) **التعاون الألماني ووزارة الداخلية المغربية** (٢٠١٧) تصميم وتهيئة الفضاءات العامة والمدارات السياحية داخل المدن العتيقة دليل الممارسات الجيدة، مكتب الدراسات الخبرة، ص ١٣.

(٦) عابد هشام (٢٠١٢) "**الساحات العمومية بالمغرب**" مجلة الحوار المتمدن-العدد ٣٧٤٢، محور الغولمة وتطورات العالم المعاصر.

(٧) نعمة الخطب بوجبار (١٩٨٦) "**مذكرات من التراث المغربي الخالد تراث فاخر**" إشراف العربي الصقلي، ج الثامن، مطبعة ألتمرا مدريد ص22.

(٨) الرباطي العربي (١٩٩٦) "**التطور العمراني لمدينة تطوان خلال القرنين ١٦ و١٧**" ضمن أعمال **ندوة: تطوان خلال القرنين ١٦ و١٧**، منشورات كلية الآداب، تطوان، ص.٢

(٩) السعودعبد العزيز (١٩٩٦) "**تطوان خلال القرن ١٩**" مطبعة الحداد تطوان، ص٣.

(١٠) الميضات جمع ميضة هي مكان الوضوء.

(١١) داود محمد (٢٠١٦) "**التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان** (في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية)" مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي. ص ١٦٦.

(١٢) الفرناتشي: هو الفرن الذي يكون تحت السخون من أجل تسخين الماء.

(١٣) داود محمد (٢٠١٥) التكملة... مرجع سابق، ص ١٦٧.